

السبت 19-06-2010

1023- نفس الموقف عبر ثلاث قرن!! فما لزوم الكتابة؟

تعتة الدستور

لا أعرف ما الذى ورطني في استعمال تعبيرى "ثقافة السلام"، و"ثقافة الحرب"؟ أكرر أنه لم يصل الكثيرين ما أردت من محاولتى للتفرقة بين معاهدة السلام، وبين ثقافة السلام، ولا بين "ثقافة الحرب" وفعل الحرب، استسلمت لعجزى عن توضيح الأمر أكثر من ذلك ورحت أبحث في أوراقى.

وجدت أنى سبق أن اكتشفت ما أتصور الآن أنى أعرفه لأول مرة، فقلت أقتطف منه ما قد يكون أسهل وأوضح.

المتقطف الأول :

الاهرام 1977/12/11 العنوان: "السلام" الجهاد الأكبر الذى ينتظرنا" قبل اتفاقية السلام 17 سبتمبر 1978م.

مخاطر الاستسهال

"... علينا فوراً أن نراجع أنفسنا فرداً فرداً لنعرف ما ينتظرنا من مسئولية لا مهرب من التصدى لها بما يناسبها. فالسلام الذى نحن بصده ليس بداية استرخاء وإعلان قدوم الرفاهية كما يخيل للبعض، بل هو مضاعفة المسئولية والغاء تبريرات التخلف. وهذا السلام ليس اتفاناً وتعاوناً مع العدو على طول الخط، بل هو تغيير في أسلوب الصراع".

المقتطف الثانى : نفس المقال 1977/12/11

المعركة مستمرة

"... اذن فالمعركة مستمرة بأسلوب اعمق وأصعب،..... فالأمر ليس تعاوناً بين عبقرية اليهود وقدرات المصريين والعرب، وهو ليس أيضاً تعاوناً بين مال العرب وعقول اليهود، ولا هو تعاون بين ثروة اليهود العالمية وعبقرية المصريين الحضارية، السلام ليس أن ينقلب العدو صديقاً استجابة لمبادرة....." "السلام ليس تخطيط جنة الشرق الاوسط بمجرد التوقيع على معاهدة...." "ولكنه بداية جديدة، وواقع جديد، وتحمد جديد، بل لعله هو هو - بما يشمل من جهاد النفس - هو الجهاد الاكبر".

المقال الثاني :

في الأهرام أيضا في 2002/9/9 بعنوان "السلام: غاية أم وسيلة؟ (بعد 14 عاما من الأول) .

"... إن هذا الاستقراء للتاريخ ينبغي أن يكون تنبيها ضمينا للحد من أن يكون السلام بمثابة منحة من القوى الكبرى من بين المنح التي توزعها على المحظوظين، كمكافأة على حسن السير والسلوك و"قلة الإرهاب". إنه بقدر حرصنا على تجنب الحرب، ينبغي أن يكون حرصنا على تجنب الخداع.

ثم: من نفس المقال: 2002-9-9

"... السلام (مثل الحرب) لا ينبغي أن يكون غاية في ذاته. الإنسان لم يوجد على هذه الأرض ليحقق السلام، وإنما ليعمر الأرض بحسن استعمال وقته وجهده وإبداعه، في ظل السلام، "والحرب اضطرارا".

وأيا: (نفس المقال)

نحن لم نسع للسلام من أجل السلام، ولم يُضغ ناشئا، جيشا وشعبا وقيادة، بما ضحوا به من أجل أن يوقعوا معاهدة، أو يتبادلوا أخطاب الاتفاقات، أو يحصلوا على الجوائز والرضا السامي من المندوب السامي. نحن حاربنا لنحقق السلام. ثم فاوضنا لنؤكد حقنا في السلام . ثم إن ما يجري على أرض فلسطين بواسطة الشهداء الأبطال، والمناضلين المرابطين، هو أيضا من أجل السلام الحقيقي الذي يسمح للإنسان - على الجانبين - أن يكمل المسيرة. إن السلام الذي يتحقق بالاستشهاد والتضحيات، غير السلام الذي يزعمون أنهم يحققونه بالضغط على الأزرار القاتلة عن بعد، وبتمصية الأبرياء بلا محاكمة، وبتجريف الأرض وهدم المنازل على رؤوس الأمهات والرضع.

وأخيرا:

دعونا نقارن هذا التقديم الأوضح بما جاء في سلسلة المقالات الأخيرة: خذ مثلا من مقال الدستور: 2010/5/5 بعنوان:

" ثقافة الحرب، ونظرية المؤامرة، والجهاد الأكبر!"

ثقافة السلام (بغض النظر عن معاهدة السلام، أو وثيقة الاستسلام) هي أن ننخدع فنصدق أنه لم تعد بنا حاجة إلى شحن وعينا طول الوقت بأنه على بعد خطوات منا وحش مفترس، **ملك** سلاحا ذرياً، ودعما دوليا متآمرا، **يقتلنا ويطردنا يوميا من فوق أرضنا ثم من فوق الأرض كلها**. المطلوب منا - حتى نعيش ثقافة السلام !!- هو أن نسترخى، ونأخذ بالأحضان هذا الصديق الجار المسالم الذي يحتفظ بالقنابل الذرية ليرصها ديكورا في صالات المفاوضات، ويزين بها ممرات محافل مؤتمرات القمة العربية.

انتهت المقتطفات عبر ثلاث قرن!!.

وبعد

المسألة ليست أن أبين أنني شاطر وسابق للأحداث، فماذا أستفيد أو أفيد بذلك، المسألة فيما انتبهت إليه مكرراً من أن مثل هذه الكتابة لا تصل إلى من يهمه الأمر، بعد أن برمجونا بهذه التلقى الاستقطابي "إما... أو"،

حين صدمت بلا جدوى الكتابة عبر ثلاث قرن، حسدت الابن الشاعر/إبراهيم داود، كان جاري هنا، وبلدياتي من قديم، حسدته لشجاعة انسحابه، لكنني أفتقده، وأرفض قراره وأذكره — صلاح عبد الصبور:

لا أملك أن أتكلم ، فليتكلم عني صمتي المفعم

(ثم) لا أملك إلا أن أتكلم (ليلي والمجنون)

وقياسا يا إبراهيم لم أملك أن أقصف قلمي المُثَقَّل، مرة أخرى:

"كل القلم ما أتقصف يطلع له سن جديد".